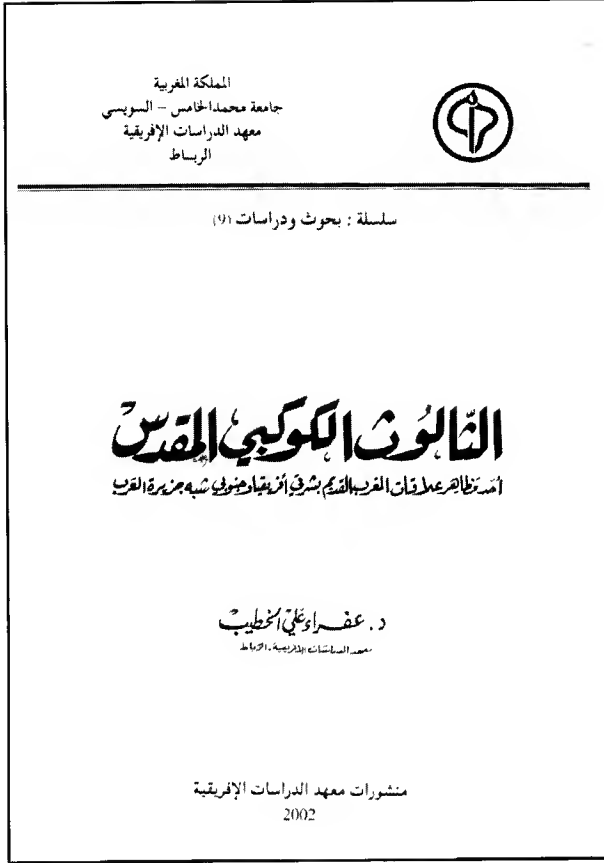


عرض الكتب



- اسم الكتاب :** الثالوث الكوكبي المقدس أحد مظاهر علاقات المغرب القديم بشركي أفريقيا وجنوبي شبه جزيرة العرب
- المؤلفة :** أ. د. عفراء علي الخطيب.
- الناشر :** معهد الدراسات الإفريقية بجامعة الملك محمد الخامس - الرباط.
- سنة النشر :** (ط ١) ٢٠٠٢ م.
- رقم التصنيف الدولي :** ٢٠٠١/٦٢٦.
- مقاس الكتاب :** ٢٤ × ١٧ سم.
- عدد الصفحات :** ٢٥٢ صفحة (تشمل ٢٤ شكلاً، و ٩ خرائط).

عرض : د. فرج الله أحمد يوسف

يشكو المثقفون في مشرق الوطن العربي ومغربه، من عدم التواصل بينهم. وقد انكفاء كل فريق على إقليمه، فضلاً عن عدم تطلعه إلى الطرف الآخر بحثاً ودراسة؛ لذا يأتي هذا الكتاب، الذي يناقش علاقة المغرب العربي مع جنوبي الجزيرة العربية في العصور القديمة، في إطار الجهود، التي تعمل على جسر الهوة ما بين المشرق والمغرب، من خلال التأكيد على قدم العلاقة بينهما. كما يقف في وجه الدعاوى، التي تتطوّل من هنا وهناك للعمل على فصل المغرب عن محيطه العربي، وإلحاقه بثقافات وحضارات لا تمت له بصلة.

يتكوّن الكتاب من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. فنّدت المؤلفة في المقدمة نظريات المؤرخين الغربيين، الذين حاولوا ربط المغرب العربي بأوروبا وفصله عن محيطه العربي، من طريق الادعاء بأن سكانه من أصول هندو أوروبية. وتدور الفكرة المحورية للكتاب، حول علاقة المغرب العربي بجنوبي

الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا، من خلال اشتراك المناطق الثلاث في عبادة الثالوث المقدس (الشمس، والقمر، والزهرة). وأضافت المؤلفة بلاد الرافدين لصلاتها المباشرة مع الجزيرة العربية، في الوقت الذي استتشت فيه مصر لأنها - كما ترى - أقامت الحاميات والحصون، وصارت حاجزاً منيعاً في وجه الهجرات القادمة من الجزيرة العربية. كما أن مصر لم تعرف - على حد تعبیر المؤلفة - عبادة الثالوث المقدس كمجموعة واحدة؛ بل كانت رموزها مثل: الهلال والقرص والنجمة، ترمز إلى معبودات أخرى.

لذا، افترضت المؤلفة أن منطقة شرقي أفريقيا والصحراء الكبرى كانت هي الوسيط، الذي انتقلت عبره المجموعات البشرية من جنوبي الجزيرة العربية إلى المغرب العربي. وتقرّر المؤلفة بصعوبة إثبات هذا الافتراض، من خلال الأدلة الأثرية،

من حيث التصميم والزخارف، وسُجِّلَت عليها الكتابة بخط المسند. كما أن المعابد والمباني الموجودة في الحبشة، تشبه في تصميمها تلك الموجودة في جنوبي الجزيرة العربية. وفي سبيل التأكيد على الصلات العرقية والثقافية، بين جنوبي الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا، تعزو المؤلفة أسباب غزو ملوك أكسوم لجنوبي الجزيرة العربية بوصفها موطن أجدادهم. وتشير إلى أن أحدهم، وهو الملك عيزانا، تلقَّب بلقب (ملك أكسوم وحمير وسبأ). وينتهي هذا الفصل بالإشارة إلى محافظة الحبشة على تراث جنوبي الجزيرة العربية الثقافي، من خلال استعمال حروف المسند إلى اليوم.

وفي الفصل الثالث من الكتاب، تُقرُّ المؤلفة بأن الدراسات الأثرية أثبتت أن وادي النيل، ومنطقة شرقي أفريقيا، شهدا تشابهاً يبلغ حد التطابق في نتاجهما الحضاري، منذ الألف الرابعة إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، وهو التاريخ الذي تضعه المؤلفة بداية لما تسميه "انفصال مصر عن بيئتها الغربية والجنوبية"، إذ أقيمت سلسلة من الحصون والقلاع على حدودها الغربية والجنوبية، لمنع دخول القادمين من تلك الجهات. وبذلك توصلت المؤلفة إلى أن الاتصال الحضاري، بين جنوبي الجزيرة العربية والمغرب العربي، تم عبر الصحراء الكبرى مروراً بشرقي أفريقيا. ومن أجل ذلك تفترض المؤلفة أن الصحراء الكبرى: (... لم تكن أبداً عائقاً وخالية من السكان، وأن الاتصال كان على أشده عبر أراضيها. وأن الروابط والعلاقات لم تنقطع أبداً منذ عصور ما قبل التاريخ... ولعل هذه الروابط والعلاقات تصبح أكثر وضوحاً بما قد تكشف عنه الحفائر والأبحاث في المستقبل...).

وتنتقل المؤلفة في الفصل الرابع إلى مقارنة عبادة الثالوث المقدس في بلاد الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، والهلال الخصيب، وشرقي أفريقيا، والصحراء الكبرى، والمغرب العربي. وتستنتج أن عبادة الثالوث الكوكبي المقدس في المغرب العربي، تأثرت - إلى حد بعيد - بالمعتقدات الدينية السامية. وتؤكد على تطابق الرموز الدينية للمعبودات في المغرب العربي، مع مثيلاتها في المناطق المذكورة سالفاً. ومن أجل توضيح ذلك، أفردت الفصل الخامس والأخير من الكتاب لمقارنة رموز معبودات الثالوث الكوكبي المقدس، وأسمائها في

وتحت على إرساء أسس قراءة بديلة لتاريخ المغرب العربي في العصور القديمة.

جاء الفصل الأول تحت عنوان: "جنوب شبه الجزيرة العربية"، وتناولت فيه المؤلفة موقع الجزيرة العربية الجغرافي وثرواتها الطبيعية، وفي مقدمتها البخور والطيوب، التي كانت تمثل عصب اقتصاد ممالك الجزيرة العربية: ثم عرّجت على الهجرات البشرية، التي خرجت من الجزيرة صوب بلاد الرافدين، وبلاد الشام، وسيناء، وشرقي أفريقيا. وبدأت هذه الهجرات منذ القرن الخامس قبل الميلاد، واستمرت حتى القرن السادس الميلادي. وفي نهاية الفصل تستعرض المؤلفة طرق التجارة البرية والبحرية في الجزيرة العربية.

وفي الفصل الثاني ناقشت المؤلفة التحركات السكانية المتبادلة، ما بين جنوبي الجزيرة العربية والساحل الإفريقي الشرقي، والتأثيرات المتبادلة بين الطرفين: ثم شرعت في التعريف ببلاد (بونت)، وعلاقتها بمصر منذ الألف الثالث قبل الميلاد حتى البعثة البحرية، التي أرسلتها الملكة حتشبسوت. وتعرضت المؤلفة للآراء المتباينة حول بلاد (بونت)، وهل المقصود بها الساحل الشرقي لأفريقيا؟ أم جنوبي الجزيرة العربية؟ أم المنطقتان معاً؟ وخلصت إلى أن بلاد بونت تعني جنوبي الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا معاً. ومرت المؤلفة سريعاً على النوبة ودورها في التواصل بين مصر وشرقي أفريقيا، ثم توسّعت في علاقات جنوبي الجزيرة بالحبشة، وأكدت على التقارب الحضاري بين المنطقتين، الذي تؤكد المكتشفات الأثرية منذ عصور ما قبل التاريخ.

أما الهجرات البشرية، فقد بدأت - في رأي المؤلفة - في الفترة ما بين الألف الأولى والثانية قبل الميلاد. وكانت من جنوبي الجزيرة العربية إلى الحبشة، حيث اختلطت القبائل العربية بالسكان المحليين. وشهدت الفترة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، امتداد نفوذ ممالك جنوبي الجزيرة العربية في الحبشة، وبرز هذا النفوذ من خلال انتشار المعتقدات الدينية والطرز الفنية، وأساليب البناء القادمة من جنوبي الجزيرة العربية في الحبشة، حيث عُثِر على العديد من الجامر والمذابح وموائد القرابين، في عدة مناطق بالحبشة، تتبع النمط نفسه، الذي كان سائداً في جنوبي الجزيرة العربية،

تلك المناطق.

من الهاء.

(٢) عند حديثها عن الطرق التجارية في الجزيرة العربية، أطلقت المؤلفة على طريق التجارة الرئيس اسم: (درب البخور والذهب)، علمًا بأن هذه الطريق كانت تنقل عبرها الطيوب والبخور دون الذهب.

(٣) تؤكد المؤلفة، في مختلف ثنايا الكتاب، على أن مصر لم تكن معبرًا حضاريًا بين شرق أفريقيا وغربها، كما لم تكن لها صلات حضارية بالجزيرة العربية، لأن مصر - على حد تعبير المؤلفة - قد شيدت الحصون والحميات على حدودها. وفات المؤلفة أن تلك الحصون لم تقف في وجه الهجرات البشرية، ولا كانت حائلًا دون التواصل الحضاري، بين مصر، من جهة، والجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد الرافدين، من جهة أخرى. ويكفي أن نذكر أن أنبياء الله إبراهيم ويوسف وموسى، (عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام) منهم من دخل مصر، ومنهم من أقام بها مع قومه. كذلك احتل الهكسوس (ملوك الرعاة) القادمين من الشرق، مصر وأقاموا مملكة في أجزائها الشرقية. كما كان يجدر بالمؤلفة أن تشير إلى العلاقات، التي كانت تربط مصر بممالك الجزيرة العربية في العهود الفرعونية والبطلمية والرومانية، مثل:

- العلاقة بين ملك مصر أحمس الثاني (٥٧٠-٥٢٦ ق.م) والملك البابلي نابونيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م)، الذي اتخذ من تيماء عاصمة له في السنوات العشر الأخيرة من حكمه، وما تبع هذه العلاقة من تأثيرات حضارية مصرية في تيماء، تتجلى في مسلة تيماء بوجود قرص الشمس المجنح، ورأس الثور، وزهرة اللوتس؛ إضافة إلى اسم الكاهن، الذي تشير نصوص المسلة إلى تنصيبه: (صلم - شزب بن بط - أوزيرى)، وهو اسم مشتق من اسم المعبود المصري أوزير.

- العلاقات التي كانت تربط مصر في عصر البطالمة مع مملكة معين، ومملكة ديدان ولحيان، وقد أطلقت النقوش العربية على ديدان (العلا)، عاصمة مملكة ديدان وعلى لحيان اسم (معين مصرن)، أي معين المصرية، لأنها كانت نقطة الاتصال التجاري مع مصر. كما عُثر في الجيزة على نقش

وفي الخاتمة تخلص المؤلفة إلى أن فكرة الاتصال بين المغرب العربي وجنوبي الجزيرة العربية، عبر الصحراء الكبرى مرورًا بشرقي أفريقيا، تبدو غريبة وغير قابلة للاستيعاب؛ ولكن تبرز الاتصال بكونه: (... لم يتم عن طريق معبد يمتد من أقصى شرقي أفريقيا إلى أقصى غربها، بل كان يتم بالانتقال من منطقة إلى أخرى ومن جماعة إلى أخرى، بواسطة الهجرات والتقلات والتجارة خلال قرون عديدة من الزمان... يمكن القول بحذر شديد أن منطقة المغرب القديم تلقت مبادئ الثالوث الكوكبي عن طريقين أساسيين: الأول الصحراء الكبرى، عبر التحركات والهجرات البشرية، التي حصلت خلال عصور ما قبل التاريخ... أما الطريق الثاني فهو البحر المتوسط، أي مع مجيء العناصر الفينيقية إلى شمال أفريقيا في بداية العصر التاريخي...): ثم تشير المؤلفة إلى أن دراسة الصلات ما بين المغرب العربي وجنوبي الجزيرة العربية، يتطلب معلومات تستند على أدلة أثرية لم تتوافر حتى الآن، ولكنها ترجو أن تكون الاستنتاجات، التي توصلت إليها، مجرد افتراضات تثبتها يوماً المكتشفات الأثرية.

وإذا كان كل بحث علمي لا يخلو من أخطاء، وتكون عليه ملاحظات لا يهدف سردها التقليل من جهد الباحث، فتجدر الإشارة إلى الملاحظات التالية:

(١) يحتوي الكتاب على أخطاء مطبعية، سأكتفي منها بذكر الأخطاء في كتابة أسماء بعض المدن والمواقع الأثرية وأسماء المعبودات، ومنها:

- تمنع، وكتبت (تمنة) (ص ٣٣).
- قرناو، وكتبت (قرنو) (ص ٣٣، ص ٣٥).
- "قرية" الفاو، وكتبت (قرية الفو) (خريطة رقم ٢، ص ٢٤).
- صرواح، كتبت (صرواخ) (خريطة رقم ٢، ص ٣٤).
- فنا، كتبت (فانا) (ص ٣٩).
- جاءت كتابة اسم "معبود القمر" مختلفة، فمرة يكتب (سن)، وأخرى (سين) (ص ٩٥، ص ١٤٦، ص ١٩١).
- كتب اسم المعبود السبئي "المقه" بتاء مربوطة في آخره بدلاً

(٤) عند مقارنتها بين رموز معبودات الثالوث الكوكبي المقدس، أوردت المؤلفة الثور بوصفه رمزاً للمعبود القمر في كل من: بلاد الرافدين، وجنوبي الجزيرة العربية، والهلال الخصيب، وشرقي أفريقيا، والصحراء الكبرى، والمغرب؛ وفاتها أن الثور والبقرة عُبدَا في مصر من خلال المعبودات: أبيس، وبوخيس، وحتحور.

(٥) من المراجع التي استعانت بها المؤلفة كتاب: الأسطورة والتراث للدكتور/ سيد محمود القمني، في تفسير اسم المعبود سن (ص ٩٥)، وفي تفسير اسم المعبود المقه (ص ١١١)، ولجأت إليه مرة أخرى في تفسير اسم المعبود سن، وأخذت بقوله إن سن هو اسم معبود القمر ويطلق على الشياه (الماعز، والخرفان، والبقر والثيران) (ص ١٤٦). والجدير بالذكر أن الدكتور/ سيد القمني ليس من الباحثين المختصين في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، ولا هو من الباحثين في مجال الكتابات العربية، وقد وضع مؤلفه لغايات لا تمت للبحث الآثاري أو التاريخي بصلة، ولا يتسع المجال لتبيان تلك الغايات، التي سعى لتصنيف كتابه من أجلها، وكان ينبغي على المؤلفة غض الطرف عن هذا الكتاب.

(٦) رتبت المؤلفة قائمة مصادر البحث ومراجعته على النحو التالي:

الدوريات الأجنبية - المصادر الأجنبية - المصادر العربية - المراجع الأجنبية - المراجع العربية.

وقد كتبت الدوريات والمصادر مُعرّفة (الدوريات - المصادر)، أما المراجع فقد كُتبت دون تعريف (مراجع أجنبية - مراجع عربية)، وكان على المؤلفة أن تبدأ قائمة المصادر والمراجع بالمصادر العربية، تتبعها المراجع العربية، ثم المصادر والمراجع والدوريات الأجنبية على التوالي، نظراً لأن الكتاب كتب باللغة بالعربية؛ إلا إذا كانت الطريقة التي سارت عليها المؤلفة متبعة في المغرب العربي.

كتب بالخط المسند ومؤرخ في سنة ٢٦٤ ق.م، وضع على قبر التاجر المعيني "زيد إل" الذي مات ودُفن بمصر، وكان ينقل البخور والطيوب من جنوبي الجزيرة العربية إلى مصر.

- أثبتت المكتشفات الأثرية، التي عثر عليها في "قرية" الفاو، عاصمة مملكة كندة، وجود تبادل حضاري بين مصر والممالك العربية، في العمارة والفنون.

- الحملة التي قادها حاكم مصر الروماني إيلوس - جالوس (٢٥-٢٤ ق.م) للسيطرة على جنوبي الجزيرة العربية ووصلت إلى نجران. وعلى الرغم من فشل الحملة، إلا أنها تؤكد على التواصل الحضاري بين مصر والجزيرة العربية.

- عندما خلصت المؤلفة إلى أن بلاد (بونت) - التي كانت لها صلات مع مصر منذ عهد الأسرة الخامسة (حوالي ٢٥٥٠ ق.م)، وأرسلت إليها الملكة حتشبسوت (حوالي ١٤٩٠ ق.م) بعثة بحرية - تشمل جنوبي الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا معاً، فإنها لم تقف طويلاً أمام هذا الاستنتاج، الذي يؤكد على الروابط الحضارية بين مصر والجزيرة العربية.

- ظلت علاقة مصر بالجزيرة العربية متواصلة حتى قبيل الإسلام. وتشهد بذلك العديد من الأدلة الأثرية والتاريخية. فعندما بدأت الفتوح الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، كانت مصر هي الجسر الذي عبره العرب في طريقهم إلى المغرب ناشرين الإسلام والعروبة، ما يؤكد على دور مصر في التواصل الحضاري بين الجزيرة العربية والمغرب العربي. وإذا كان العرب قد ألفوا التواصل مع المغرب العربي من شرقي أفريقيا عبر الصحراء الكبرى، فكان حرياً بالفتوح الإسلامية أن تسلك الطريق نفسه. ففي خلال ثلاثين عاماً من الفتوحات، كانت الفسطاط والقيروان القاعدتين اللتين توجهت منهما الجيوش الإسلامية لإتمام فتح المغرب العربي، ولم يبدأ فتح الأندلس إلا بعد أن تعرّب وجه المغرب العربي.

د. فرج الله أحمد يوسف - الرياض ١٤١٢ - ص ب ٤٥٥٦ farajyousef@hotmail.com